Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 53, No. 9, 2026, 9662

Deanship of Scientific Research

Cognitive grammatical cohesion by interface binding of certainty and suspicion, some verses of Qur'an as an example

Mohammed Suliman Al Amiri *

Department of Arabic Language and Literature, Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman.

Received: 9/11/2024
Revised: 3/1/2025
Accepted: 27/3/2025
Published online: 10/6/2026

* *Corresponding author:*
bayan@squ.edu.om

Citation: Al Amiri, M. S. (2026). Cognitive grammatical cohesion by interface binding of certainty and suspicion, some verses of Qur,an as an example. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *53*(9), 9662. https://doi.org/10.35516/Hum.2026.9662

© 2026 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This research explores the cognitive connections between opposites, emphasizing the interplay of concept, perception, and spatial representation. It investigates how mental representation supports grammatical coherence and engenders creative deviations, resulting in parallel structures of meaning and sound, grounded in divine verses**.**

Methods: A unified cognitive scientific approach was utilized, incorporating insights from linguistics, neuroscience, psychology, philosophy, sociology, behavior, and anthropology.

Results: The study revealed that certainty and doubt exist reciprocally, allowing for the deconstruction of context into fragmented conceptual and perceptual frameworks. It demonstrated a continuous link between concept, perception, and space, with a central focus on semantic crystallization.

Conclusions: Opposites are relational and necessitate integration, illustrated through the duality of certainty and conjecture. This integration reflects complex mental structures and is evident in the interpretations of divine verses. The study highlights how concept, perception, and space interact through blending and hybridization, addressing coher

Keywords: Mind/brain, cognitive grammatical cohesion, binary opposition, certainty and conjecture, concept hybridization, blending of perception, space, parallel syntax engineering, prominence, focalization, conceptual reference, structure, completion, crystallization, expansion, creative deviation.

التَّماسُكُ النَّحْوِيُّ المعرفِيُّ بوجاهِ[1] محمولَي اليقينِ والظنّ، بعض آي التنزيل أنموذجًا

محمد بن سليمان العَميري*

قسم اللغة العربيَّة وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعيَّة، جامعة السُّلطان قابوس، سلطنة عُمان.

ملخّص

الأهداف: تقوم الدراسةُ على وجاهٍ نحويّ معرفيّ متماسكٍ رابطٍ بين دلالاتِ الضدِّ ذي المحمول النفسيّ، بتضافرِ المفهوم والتصوُّرِ والفضاء حيث التمثُّلُ الذهنيُّ بنيةً ووظيفةً، مؤولًا بعمليات التركيب والإكمال والبلورة والتوسيع[2]، فرزها التداخل والتهجين والمزج والإحالة؛ فكان ذلك هدفًا قائمًا على مناويلَ من آي التنزيل. وتتمثَّلُ إشكاليَّة الدراسة في استظهار الوجاه الرابط بين ضدين بنيةً عميقةً قائمةً على موازنةِ تَبْرِيزٍ حَذِرةٍ بين البَلْوَرَةِ والتَّوْسِيعِ.

المنهجية: تتَّخِذُ الدراسةُ من المعرفية أساسًا للتحليل وفق منهج علمي موحَّدٍ واصلٍ بين اللسانيات وعلم الأعصاب والنفس والفلسفة والاجتماع والسلوك والأنثروبولوجيا.

النتائج: خَلصَت الدراسةُ إلى أنه بالعلاقات المتقابلة بين محمولي اليقين والظن يمكن تفكيكُ السياقِ رؤيةً مقعَّرةً متشظيةً إلى أنساقٍ تصوريةٍ / إدراكيةٍ مكوِّنةٍ، واختبارُ وجاهٍ متماسكٍ واصلٍ بين المفهوم والتصور والفضاء مدعومٍ بعملياتِ بلورةٍ محدَّبةٍ ذاتِ مركزٍ بؤريّ دلاليّ ناتِجٍ.

الخلاصة: الضدُّ لا يكون إلا بضده علاقةً قائمةً على لازم الوجود بغيره لضربٍ من التكامل، وقد يتمظهر ذلك المنطقُ في ثنائيةٍ ضديةٍ بمحمولي اليقين والظن متحيزةٍ بنيةً تصوريةً إظهاريةً متماسكةً مُبَأَّرةً، ذات إيزاعٍ معقدٍ منتظمٍ في الذهن/ الدماغ، مرمَّزًا بمناويلَ من كتابِ اللهِ، وفق تكاملٍ بنى المفهوم والتصور والفضاء قوامه التداخلُ والتهجينُ والمزجُ والإحالةُ.

الكلمات الدالّة: الذهن/ الدماغ، التماسك النحوي المعرفي، الثنائيَّة الضديَّة، اليقين والظن، تهجين المفهوم، مزج التصوُّر، الفضاء، هندسة النحو المتوازية، الوجاه، التبئير، الإحالة التصوريَّة، التركيب، الإكمال، البلورة، التوسيع، الانحراف الإبداعي.

مقدمة

إنَّ التعقُّلَ لينطلقُ بَداهةً من مسلمةٍ مفادُها: أنَّ الضدَّ لا يكون إلا بضدِّهِ، وما إن انتفى أحدهما انتفى مقابلُه؛ فلو لم يكن الأبيضُ. مثلًا. ما كان استدلالٌ على وجودِ الأسودِ، وبانسلاخِ الليلِ يعرَفُ النهارُ؛ ذلك أنَّ الأضدادَ متلازمةٌ عقليةٌ منطقيةٌ تلازمَ وجودٍ، وعلى الرغم من الهُدْية البلاغية لتلك المَفْهَمة[1] في موروثنا كبيت المتنبي – مثلًا - (وبضدها تتبين الأشياءُ) فإنها ذاتُ تغويرٍ فلسفي متأوِّلٍ خفيّ مُبَأَّرٍ، وعَرَفَها فلاسفةُ اليونانِ واصِلَةً بين التغير والثباتِ في الوجودِ بمبدأ الاحتواء والتكاملِ؛ «لأن كلَّ شيءٍ حينَ يتغيرُ يتغير من ضد إلى ضد؛ فلا بد له إذن من أن يكون حائزًا من قبلُ على الشيء الآخَر لكي يمكن هذا التغيُّرُ أن يَتِمَّ» (بدوي، 1979: 139)، ويرى هيراقليطس أنَّ قانونَ التضادِّ ليس قائمًا على التنافي والفناء بل التوازن والتوافق وأفضلُه الخفيُّ المُدْرَكُ بالبصيرةِ والتعقُّلِ (الأهواني، 1953: 107، 108)، وقد يتمظهر ذلك المنطقُ في اللغةِ قائمًا على وِجاهٍ معرفيّ رابطٍ بين دلالاتِ الضدِّ ذي المحمول النفسيّ، بتضافرِ المفهومِ والتصورِ والفضاء حيث التمثُّلُ الذهنيُّ بنيةً ووظيفةً، في تماسك نحوي قد يستعلي على ظاهر الأنساق المعيارية بانحرافٍ إبداعيّ عن مظنون التنافي هندسةً نحويةً متوازيةً من تركيبٍ ودلالةٍ وصواتةٍ، تبريزًا ناتئًا لمجموع اليقين والظن بطريق التساوقِ المحكومِ بمعياريّ السبكِ والحبكِ، فكان ذلك هدفًا لبحثٍ قائمٍ على مناويلَ من آي التنزيل عنوانه: «التماسك النحوي المعرفي بوجاه محمولي اليقين والظن بعض آي التنزيل أنموذجًا»؛ وفق منهج علمي معرفي موحَّدٍ واصلٍ بين اللسانيات وعلم الأعصاب والنفس والفلسفة والاجتماع والسلوك والأنثروبولوجيا؛ ذلك أنَّ «المعرفيَّ رباطٌ بين الماديّ والذهنيّ؛ فصفةُ المعرفيّ تشملُ الذِّهْنِيَّ وعمادَه الماديَّ وما بينَهما؛ أي ليس فقط مجملَ وظائفِ المعرفةِ البشريةِ ومحتوياتِها وعملياتِ معالجتِها وتحليلِها وتخزينِها واسترجاعِها و...، ولكن أيضًا الأساسَ العضويَّ، ومن ثَمَّ الطبيعي الفيزيائي للآلياتِ والبرامجِ الأحيائيةِ التي تُمَكِّنُ من تنفيذ تلك الوظائفِ والعملياتِ وتَحَقُّقِها». (غاليم، 2021: 83)

وأحسب أنَّ المعالجة المطروحة تلك بِدْعٌ غير مطروقٍ في بابه؛ إذ لَمَّا تَكُنْ دراساتٌ سابقةٌ حسب اطلاع الباحث، وإشكالية الدراسة تتمثل في استظهار الوجاه الرابط بين ضدين بنيةً عميقةً قائمةً على موازنةِ تَبْريزٍ حَذِرةٍ بين البَلْوَرَةِ والتَّوْسيعِ؛ ذلك أن المختلفات بنية علائقية متحولة تنزع إلى التكامل كالمتشابهات مدعومة بشبكة دماغية ذات معالجة متوازية من الأدخال المتخالفة كما يرى بول ب أرمسترونج صاحب نظرية المزج بين علم الأعصاب (Neuroscience) وعلم الظواهر (Phenomenology) (أرمسترونج، 2022: 138، 139)، وتجيب الدراسة عن أسئلة من نحو: هل الإدراك يتجسد في بنية دماغية متماسكة من العلاقات المتقابلة بطريق التبادل؟ كيف يمكن لهندسة النحو المتوازية أن تُبَرِّزَ العلاقةَ الضِّدِّيَّةَ بين اليقين والظن؟ كيف يمكن للتماسك المعنيّ أن يتمظهر وفق تكامل بنى المفهوم والتصور والفضاء؟ هل ثَمَّ علاقة ناتئة محمولة على تماسك اليقين والظن بطريق تهجين المفهوم ومزج التصور؟ هل لتماسك اليقين والظن مُنْجَز في سياق الإحالة التصورية؟ وإيزاع ذلك كله في محاورَ تاليةٍ:

المحور الأول: تَماسُكُ الإدْراكِ لا تَهافُتُ الأَضْدادِ

اللغة بناء عصبي منقعر في نسيج الكونِ الأصغرِ: الدماغِ، المحكومةِ أحيازُه بقانونٍ حركيّ مُحَفِّزٍ؛ إذ تَجوسُ اللغةُ تلك خلال الجسم خلاياه، وأخلاطه، وأمشاجه، وفي مُشَغِّلاتِ الفكرِ وأوعيةِ النَّفْسِ، بأضدادِها غير المتنافية، في لُجَّةِ ضميرِ الفردِ مُنْداحةً في جَمْعِه، في تصورٍ للغةِ يَجوز الإدراكَ، وتصوُّرٍ للإدراكِ يَجوز اللغةَ، فهي «لا توجد خارج أولئك الذين يفكرون ويتكلمون، إنها تمد جذورها في أعماق الضمير الفردي، ومن هنا تستمد قوتها لتنفتح على شفاه الناس. غير أن الضمير الفردي ليس إلا عنصرًا من عناصر الضمير الجمعي الذي يفرض قوانينه على كل فرد من أفراده». (فندريس، 1950: 434) إذ يلقي الإدراك الاجتماعيُّ نُشُرَه عبر المخيخ في الجزء الخلفي السفلي من الدماغ فمستقرٌ ومستودَعٌ (طعمة، 2017: 201، https://nasainarabic.net/r/s/10112) كل ذلك خلال عُقَدٍ مُثارةٍ باهتزازاتٍ مُوَلِّدةٍ ينتقل إثرها سيالٌ عصبيٌّ لعضلةٍ فاعلةٍ، ويمدنا الوحيُ المُعْجِزُ بما يقرب من ذلك إذ ينفث الشيطانُ طاقةً سلبيةً عاقدةً يسري حافزها على عضلات الصدر ضَيِّقًا حَرَجًا؛ ففي حديث الشيخين (444) عن أبي هريرة: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة مكانها: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها؛ فأصبح نشيطًا طيبَ النفسِ وإلا أصبح خبيثَ النفسِ كسلانَ».(عبد الباقي، 1977: 148)

والإدراك العريض ذاك بأحماله اللغوية هو قوة تفكير خارج الدماغ، ومهاد لنظرية «العقل الممتد» عنوانَ مقالٍ لآندي كلارك وديفيد تشالمرز؛ تصدره سؤال: «أين يتوقف العقل ويبدأ بقية العالم؟»؛ ومضمون الجواب أنه لا يتوقف عند حدود معيارية الدماغ؛ بل هو نشاط متسع بعدِّه اقترانًا بين كائن بيولوجي وموارد خارج الكتلة العصبية؛ بكيانات أجسادنا من إحساس وحركة وإيماء، ومحيطنا من طبيعة وبيئة وأفكار، وعلائق عقولنا مع خبراء وأقران ومجموعات. (ميرفي بول، 2022: 37 – 39)، ولا تعدو أن تكون وظيفة الدماغ إذن سوى سيرورة عملية موطِّئةٍ لتداخلات الجسد والدماغ

(1) المفهمة Conceptual مصطلح دقيق وهو أكثر ملاءمة للمعنى اللغوي الاستعمالي الحركي من المفهوم Concept ذي الطبيعة الثابتة؛ فهو يضم وجوه التجربة الذهنية من تصورات جديدة، وقائمة، ومفهومات حسية وحركية، وتجارب عاطفية، وهو مناط إدراك السياق المادي واللغوي والاجتماعي والثقافي، والتصورات التي تتجلى خلال زمن المعالجة الذهنية. (لانقاكر، 2018: 61)

والعالم حسب فيلسوف الأعصاب ألفا نوا Alva Noe رافعًا شعار: أنت لستَ دماغَكَ (Noe, 2009: 47).

تلك البينيةُ الرابطةُ بين أَفْضِيَةِ الذِّهْنِ وملموسِ واقِعِها في نسيجٍ حيويٍّ إدراكِيٍّ مُتعاوِرٍ في حركته هو ما دفع جوته Goethe إلى تغييبٍ متعسِّفِ لنظريةِ الداخل والخارج أو مقولةِ الذاتِ والموضوعِ في فراغاتٍ عَدَمِيَّةٍ، وإلى إشطاطِ معاصره هيجل Hegel أنْ أماهَ تلك الصِّلةَ في حقيقة الوجودِ بمبدأ (بينَ بينَ)، ونحو مِنْ ذلك كانت مناويلُ النظريةِ النفسيةِ العلائقيةِ في تفسير الوعْيِ الواصِلِ بينَ الإسْقاطِ والاستِبْطانِ عند سيغموند فرويد Sigmund Freud وخَلَفِه.(رمضان، 2016: 4،5) والوضعية السلوكية التجريبية المتجسدة بعلاقات الإقصاء، والاختزال، والتوحيد؛ الرافضة لثنائية الذهن والدماغ، والبنية والوظيفة، والروح والجسد ؛ عن حتميةٍ بيولوجيةٍ مقيسةٍ بالكثافة الكهربائية والعمليات الكيميائية، مِنْ أنصار النزعة المادية الإقصائية أمثال فرانسيس كريك، وجيمس واتسن، وبول م. تشارشلاند، وتيرنس سينوفسكي، وكريستوف كوش، والفيلسوفة الأمريكية باتريسيا تشارشلاند بعد نشر كتابها «الفلسفة العصبية، نحو علم موحَّد للذهن. الدماغ» سنة 1986م، مُصَرِّحةً بانطلاقها مِنْ أيديولوجية مادية صِرْفَة ترى أنَّ الذهن والدماغ ليسا كيانين وجوديين منفصلين بل جوهرًا أحاديًّا بكينونةٍ فيزيائيةٍ تعطو إلى كفايةٍ عصبيةٍ ناشطةٍ لإنتاجِ التَّعَقُّلِ.(أندريو، 2023: 11، 15، 32، 33)، بيد أنَّ مبدأ تعقيد الدِّماغ حال دون اعتراف آخرين مُدَّرعين بنمذجةٍ غير تامَّةٍ ذاتِ نزعةٍ أخلاقيةٍ كبول تشارشلاند وس. ديهين في مقالٍ لهما بعنوان «النماذج العصبية للوظائف المعرفية»؛ ذلك أنَّ مجالَ التنفيذِ العصبيّ لنماذجَ ذاتِ وظيفةٍ معرفيةٍ وعلى رأسِها اللغةُ لَهوَ تَنامٍ حثيثٌ من بسيطٍ إلى مُعَقَّدٍ؛ وقد اقترح شونجوه لذلك التكامل مستوياتٍ ثلاثةً:

1 . المستوى الخلوي في تشجره واشتباكه؛ قائم على تمثيل عصبي ضروري، ذي تنظيم ذاتي، قوامه خلايا معقدة؛ فالسيرورة الذهنية الداخلية كالانتباه أو الوعي مشروطة بجهاز مُنتِج.

2 . مستوى الدارة العصبية الواصلة بين الخلايا؛ وبه يتشكل سلوك بسيط مبنيٍ على تنظيمٍ علائقيّ معقَّدٍ قد يمنع من الاختزال.

3 . الميتا . دارة؛ حيثُ الوظائفُ المعرفيةُ المدعومة بالهندسة العصبية، فتتحيز النيات والمقاصد بعدُ قمةَ سلميّات الشبكات الدماغية ومنتهى المستوى. (أندريو، 2023: 46، 49)

إن الجدلية المادية القائمة على أساس الديالكتيك النِّقْضِيّ المعتمد على قانون التناقض الحركي لتعجز أن تسقطه على الطبيعة وظواهر الوجود، بل هو تقويضٌ للمبدأ الضروري العام للتفكير البشري؛ ذلك أن «التطور والتكامل لا يتنافى مطلقًا مع مبدأ عدم التناقض، وأن الفكرة القائلة بوجود التنافي بينهما تقوم على أساس الخلط بين القوة والفعل؛ فالحركة هي في كل درجة إثبات بالفعل ونفي بالقوة»(باقر الصدر، 1998: 228)فالتماسك المعنيُّ هو تفاعل بين أضداد خارجية إذ لم تجتمع في وحدة، بل لكلٍ وجودٌ مستقلٌّ في مجاله اشتركا في عمل متبادل ذي نتيجة ما، وهذا معهود متجذر في الفلسفة والمنطق؛ فأرسطو . مثلًا . بعدِّه إمامَ الميتافيزيقا والمنطق الشكلي يؤمن بمبدأ صراع الأضداد الخارجية ويبني منطقه على مبدأ عدم التناقض،(باقر الصدر، 1998: 226) ومن نظرة باشلاريَّة رابطةٍ بين التصوُّرِ والتصديقِ يمكن القولُ أن الإدراكَ الدّوليَّ للغة مرهونٌ بانقداحٍ عُصْبونيّ Neuro لطاقةِ التلفُّظِ Enunciation Power تتحيَّز مولّداته أوزاعًا قارَّةً في بُناها بأغيارها المتشابكة؛ ذلك «أنَّ المعالجة اللغوية ليست على درجة من التجانس المطلق في الدماغ؛ بل تخضع لمجموعة من التشابك على مستوى الموصِّلات العصبية غير المتمركزة، المنفصلة تمامًا في شبكة الدماغ» (طعمة، 2017: 14)؛ وهي تتسع بتمطِّيها في فضاءات معرفية ضافية بنيةً عصبيةً تقدر بمائة مليار خلية تتمدد من تشكيلٍ جينيّ وآخرَ كسبيّ، فتجوس نصفي الدماغ عبر رابطٍ كيميائي كهربائي بينهما مبنيّ من المادة الدماغية البيضاء فيما يعرف بالجسم الجاسئ (الثفني)؛ أو المُقْرِنِ الأعظم Corpus Callosum (طعمة، 2017: 68، 204)؛ تلك المادة هي المكون الأول للجهاز العصبي المركزي قِوامها خلايا دبقية ومحاور طويلة مفلطحة وألياف عصبية ونوى قاعدية basal nuclei مغمدة بالمايلين الأبيض العازل الداعم للربط بين حزم المادة السطحية الداكنة (الرمادية) المعالِجة المكون الثاني وبين أجزاء أخرى في الجسم(https://www.technologynetworks.com/neuroscience/articles/gray-matter-vs-white-matter-322973) تسارعَ الكونِ المتباعدةِ أجزاؤه بما يقرب من الضوء مع ترابطه وقوته؛ إذ تتصل المجراتُ ذاتُ المِئينَ الخلويةِ الموازيةِ والكواكبُ بالمادةِ الداكنة[2] Dark Matter ونحوها، كل ذلك عبر نسيجٍ دماغيّ كونيّ متشابهٍ (طعمة، 2017: 125، 239، 275)؛ ولدونة الدماغ تلك سبيل إلى تشابكات عصبية نامية؛ بل إزاحةٍ مُوزعةٍ لبنى الدماغ كافة، مخلوقةٍ من كثافةِ المعرفةِ، وطاقةِ اللغةِ، معقودةٍ على موروثِ البنية الجينية فيما يعرف بالتشبيك الجيني الما قبلي. (طعمة، 2015: 534، 535)

وربما اتسع النشاطُ العصبيُّ الداعِمُ للغةِ بإيعائه دماغَ القلبِ أو الدماغَ الصغيرَ عند آرمور Armour في دراسةٍ عريضةٍ عام 1994م؛ إذ يتألف من شبكة معقدة من خلايا وبروتينات ونواقل وممرات موطأة تستبق اللوزة الدماغية حيث التقييمُ الأوليُّ لمثير ما وتبيُّغُ العاطفةِ (طعمة، 2017: 259)عبر النخاع المستطيل خلال مجال كهرومغناطيسي تعبوي ممتد يربو على مغناطيسية الدماغ بخمس آلاف مرة، ليفرغ إلى مراكزه العليا، فضلًا عن

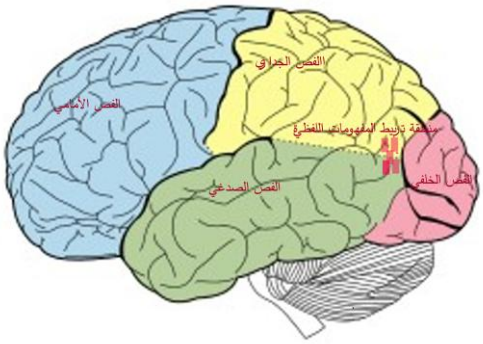
(1) مادة كثيفة غير مرئية تحف التراكيب الكونية من مجرات وعناقيد مجرية، وهي لا تصدر ولا تمتص أي نوع من الإشعاعات. انظر الطائي، م. (2017). المادة المظلمة: أصولها وفصولها، المجلة الأردنية للفيزياء، المجلد15، العدد2، إربد: جامعة اليرموك.

زيادةِ نشاطه الكهربائي بستين ضعفًا؛ بل قد يَعتمل فارِدًا باقتدارٍ عصبيّ ذاتيّ على التعلم والتذكر والإحساس والتعقل، ومنه يتحرر هرمون ANF الذي يؤثر في مناطق تنظيمية في الدماغ، كما يتولد من خلاياه المسومة بـICA ناقلان عصبيان: نورأدرينالين ودوبامين بعد تصورٍ مظنون ينسبهما إلى الجهاز العصبي المركزي فحسب، وهو يفرز هرمون الأوكسيتوسين بتركيزٍ مُوازنٍ لفِرْز الدماغ الذي يمد بسبب إلى الإدراك الفكري والاجتماعي والتكيف (شريف، 2011: 193، 201) وذلك مدعاةٌ إلى احْتمالٍ قد يتغاضى عن جدلية الدالّ في مَلْفوظ القلب والصَّدْرِ ومعاورتهما الْعَقْلَ والذِّهْنَ في مواضع من التنزيل لمقتضى، باستظهاره بادِيَ مَلحوظِ قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(الحج46)، وذلك تماسكٌ إدراكيٌّ شَكَّلَ قاعدةً مبكرةً لمذهبٍ من ثلاثة تبنتها فلسفة المعرفة الصوفية. (الشرقاوي، 1995: 73)

وقد يضيق ذلك الاعتمالُ اللغويُّ سابرًا في دِقّهِ إذ يَخْرُجُ بخلايا عصبيةٍ Nerue Cells مُجسَّمَةٍ بنواةٍ وسيتوبلازم حاوٍ لمعظمِ العضيات الناشطة، ومنه تتشعَّبُ شُجَيْراتٌ زائدةٌ قصيرةٌ لاقِطةٌ، تَميرُ جسمَ الخليةِ بسيالٍ عصبيّ Nerue Impulse سابحٍ، كما يَتَمَطَّى بعضُها في شكلِ محاورَ اسْطِوانِيَّةٍ Axons تنتهي بتفرُّعاتٍ طَرَفِيَّةٍ Terminal Branches ناقلةٍ، ومعظمُ تلك المحاورِ مُغَطّاةٌ بغلافٍ مايلينيٍّ Sheath Myelin عازلٍ مُكَوَّنٍ من خلايا تُعْرَفُ بخلايا شوان Schwann Cells، وذلك السيالُ العصبيُّ المدفوعُ نحو خليةٍ أخرى مؤاخِيَةٍ ليس هو حزمةَ إلكتروناتٍ كهربائيةٍ معهودةٍ ؛ بل إنَّ طاقتَهُ لَتُوْلَدُ مِنْ مجموعِ أغيارٍ رواجِعَ: أيوناتِ صوديوم +Na داخلةٍ، وأخرى بوتاسيوم +K خارجة، والعكس، إنه فَرْقٌ في جُهْدٍ مُوَلَّدٍ مِنَ اختلافٍ في تركيزٍ أيونيٍّ على جانبي غِشاءٍ طَيِّعٍ نفاذُهُ لمُثيرٍ ما مُؤْذِنٍ بدخولِ أيوناتِ الصوديوم الموجبةِ إلى الخليةِ حيث يشغل الموجبُ فراغًا داخليًّا رابيًا على خارجِها طاردًا لأيوناتِ البوتاسيوم يُعَزِّزُهُ كَثْرَةُ قنيّها؛ وهو ما يسمى بجهدِ الفِعْلِ Action Potential ، بعدَها تعود الأيوناتُ إلى وضعِ عكسِ مُنْحَدَرِ التركيزِ عن طريقِ بروتيناتٍ طارِدَةٍ يُطْلَقُ عليها مضخَّةُ الصوديوم والبوتاسيوم؛ إذ تنقل أيوناتِ الصوديوم إلى الخارج، وتعيد البوتاسيوم إلى الداخل بطاقةٍ فَسْفَرَةٍ مصدرُها ATP حيث جهدُ الرّاحةِ Resting Potential مُتماسِكَةً قبلُ في أكثرَ مِنْ فراغِ ارتباطٍ، كما يربط الخلايا حيّزٌ يقع بين التفرعاتِ الطرفيةِ لخليةٍ ما وشجيراتٍ عصبيةٍ لأخرى حيث منطقةُ التّشابُكِ العصبيّ The Synapse عبرَ ناقلٍ كيميائيّ مِنْ نحو الأستيل كولين مُحَرَّرٍ مِنْ حويصلاتٍ دقيقةٍ مُتَفَجِّرَةٍ بطاقةٍ مُسْتَمَدَّةٍ من الميتوكندريا الفاشيةِ في التفرعاتِ الطرفيةِ للمحور، فيرتبط بمستقبلاتٍ خاصةٍ على غشاء الخليةِ بعدَ التشابُكِ مُحْدِثًا تغيُّراتٍ أيونيَّةً مُعْتَقِبَةً بينَ جهدِ راحةٍ مُنْقَضٍ، وآخَرَ فعلٍ مُنْقَدِحٍ، ثم تتخلص الخلايا مِنْ ذلك الناقِلِ بعدَ أدائه وظيفتَهُ بتفعيلِ أنزيماتٍ مُفَكِّكَةٍ، أو بإعادةِ امتصاصِهِ وتدويرِهِ حتى لا يحولَ بين الخلايا ورَجْعِها إلى جهدِ الراحةِ

(mailto:https://www.britannica.com/science/nervous-system/Active-transport-the-sodium-potassium-pump)

وما كان للغة أن تستعليَ بكلّيتها التجريديةِ الحدسيةِ العميقةِ في نصفِ المخّ الأيمن انزياحًا نحو المجاز والاستعارة والكناية إلا من تجزئةٍ محسوسةٍ مُعقولةٍ بسيطةٍ في نصفه الأيسر. (طعمة، 2017: 58. 61) ومن نحو ذلك الإيزاع أن عَرَجت اللغة الصوفية مثلًا من سماوةِ النسقِ الثابتِ إلى سماءِ الرمزِ المتحولِ، لتفتر عن تشفيرٍ مكتظٍّ محمولاتُه، مدعومٍ في أحد وجهي إشراقِهِ الرّوحيّ بآليَّةٍ عصبيةٍ مَسيكٍ ضِدّاهُ: الخُلُوُّ والامتلاءُ؛ إذ يتعاوران منطقتي تربيط التشكيل Orientation Association area=OAA؛ الواقعةِ في الجزء الخلفي من الفص الجداريّ في نصفي المخ: أيسرِهِ لإدراك الذات صورةً ثلاثيةَ الأبعاد، وأيمنِهِ لإدراك المحيط فراغًا متصلًا به، وتربيط الانتباه Attention Associatin area=AAA؛ الواقعةِ في القشرة المخية قبلَ الأمامية Prefontal Cortex منهما، فلو افْتُرِضَ أنْ أُشْرِبَ المتأملُ في وعيه الكعبةَ مجسَّمًا أو صورةً أو تخيُّلًا لأدى إلى تحفيز منطقة تربيط الانتباه AAA اليمنى، فترسل إشاراتٍ تلقائيةً إلى منطقة تربيط الإدراك اليمنى والتربيط البصري فتتحيز الكعبةُ بعدُ بؤرةَ نشاطِهما، ومِنْ ثَمَّ تُهْرَعُ إلى منطقة تربيط التشكيل اليمنى OAA (إدراك المحيط) إلى إرسال إشارات إلى منطقة تحتَ المِهاد فَيُنَشِّطُ آليَّةَ التَّنَبُّهِ، وبلوغُه منتهاه مَدعاةٌ إلى هياج آليَّةِ السكونِ في تربيط التشكيل اليسرى OAA (إدراك الذات)، ثم ينتقل فرط نشاط آليَّتي التنبه والسكون إلى منطقة تربيط الإدراك مؤديًا إلى إغلاق أيسرِ تربيطِ التشكيلِ فيتلاشى الشعورُ بالذاتِ وحدودِ الجسمِ، وإلى هيجانِ أيمنهِ فيتضاعفُ حضورُ الكعبةِ وتضخُّمُ صورتها لتتحيَّزَ الوجودَ إذ هي الوعيُ كلُّهُ (وحدة الشهود)، ومتى ما استهْلَكَتْ آليةُ التركيزِ فقد المتأملُ تلك الصورةَ المقدسةَ وصولًا إلى شعورٍ بالفناء. (شريف، 2012: 123، 124، 251، 252) وتلك السيرورة المتآزرة بين نشاطٍ وسكون مجلبة إلى انقداحٍ لغويّ مُشَفَّرٍ في منطقةُ تربيطِ المفهوماتِ اللفظيةِ Verbal Conccptual Association area حيث التقاءُ فصوصِ المخّ الثلاثةِ: الصدغيّ والجداريّ والخلفيّ؛ (شريف، 2012: 123. 125) بيانه في شكلٍ مفترَض آتٍ:



الشكل (1)

ويتجلى ضربٌ من المساوَقةِ الضِّدِّيَّةِ بين سلوكٍ غريزيّ أرضيّ مُتقادم موروثٍ، وآخرَ عاقلٍ روحيّ متجددٍ مكتسَبٍ؛ الأولُ يغلب على المنظومةِ الحوفيَّةِ من بنى الدماغِ إذ تَحتزم حافةَ الجزءِ العلويّ من جذعه بهياكله الأربعة العامة: المهاد، وتحت المهاد، والحُصَيْن، والنتوء اللوزي ، والثاني زعيمٌ به القشرةُ المخيةُ، والفصوصُ الجبهيةُ من اللحاء؛ منتهى سيرورةِ الوعي الروحيّ والاجتماعيّ والفكريّ في كثيرٍ واللسانيُ أثارةٌ منه (طعمة، 2017: 259 . 260)، والمخالفة الوظيفية تلك يمكن أن تبنى على الإرادة البشرية وحرية الاختيار وهي فرضية علمية مقبولة قيد البرهان، لا أن تُحْمَلَ على صراعِ الأضدادِ النِّقْضِيَّةِ، وجدليةِ المادةِ، والداروينيةِ الإدراكيةِ التطورية المزعومة، بما لا يتفقُ والتصوراتِ الضرورية وتصديقاتها. وعلى كلٍ فالقشرة الأمامية الجبهية هي مركز القيادة والتوجيه وتفنيد الصواب من الخطأ والصدق من الكذب؛ وهذا ما أكدته الدكتورة لوشا تشو طالبة ما بعد الدكتوراه (VTCRI) في دراسةٍ أجريت بين معهد كاريليون فرجينيا للتقنية وجامعة كاليفورنيا في بيركلي

(mailto:https://www.collegiatetimes.com/news/virginia_tech/area-of-the-brain-responsible-for-honesty-

(identified/article_75efc674-4827- 11e4-aadd-001a4bcf6878.html

وتلك حقيقة تنسجم مع نص التنزيل: ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ لا أن يُتَوَجَّهَ تلقاءَ الإسناد المجازي كما يذهب المفسرون؛ ففي الكشاف: «وصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي؛ وهما في الحقيقة لصاحبها؛ وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك: ناصية كاذب خاطئ»(الزمخشري، 1947: 778/4)

إن الضديَّةَ الإدراكية في مَثناها الحركيّ ذاك بين الانفصال والتشابك، والفرد والجمع، والسعة والضيق، والبساطة والتعقيد، والعقل والحس، والقبول والرفض، والتجرد والشخوص، والخُلُوّ والامتلاءِ لهي بنية كونية وجودية، تنعكس على معطيات العقل الأولية، وتتصل بنسق الحقيقة الكبرى المطلقة حيث الوحدانية بصفاتها الفعلية من إحياءٍ وإماتةٍ، وإعطاءٍ ومنعٍ، وخفضٍ ورفعٍ، وقبضٍ وبسطٍ، وإظهارٍ وإخفاءٍ، وإعزازٍ وإذلالٍ.

المِحْوَرُ الثّاني: تَماسُكُ اليَقينِ والظَّنِّ بَيْنَ تَهْجينِ المَفْهومِ ومَزْجِ التَّصَوُّرِ

إن الطرحَ الدُّوليَّ للكلام قد يبدو سابرًا في دِقّهِ، متجانفًا عن أحادية البنية إلى رُزَمٍ تَصَوُّرِيَّةٍ Conceptual packets ذاتِ مِزاجٍ ضِدِّيّ معرفيّ متماسكٍ، يَشْتَقُّ بطرفَيْهِ ظاهِرَ الملفوظِ إلى أفضيَةِ الملحوظِ، في تكافُؤٍ معنويّ مَجزوءٍ ذي مَدارٍ مُهَجَّنٍ، مَشوبٍ بأزواجٍ نائيَةٍ، ظاهِرُهُ روابطُ مُتَعاوِصَةٌ، وباطِنُهُ أدخالٌ مُتَناصَّةٌ؛ ذلك أنَّ كَمًّا من الحقائق والمفهومات لَهِيَ فِرْزُ مَزْجٍ تصوريّ على سبيلِ الإسقاطِ الانتقائيّ المَكْفِيّ بأفضيَةٍ ذهنيةٍ، جَوارٍ أدخالُها في فضاءٍ لَدِنٍ جامِعٍ؛ من مثل استنهاضِ منطوقِ الظنّ (يظنونَ) ودالةِ اليقينِ (أنهم) استحثاثًا خُطاطيًّا وجدانيًّا في قوله تعالى مخاطِبًا بني إسرائيلَ: ﴿**وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ 45 ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ46**﴾ **[البقرة: 45، 46]** إذ ترتبطان بكيانات سابقة الوجود في نسق التذهين الروحي؛ بيد أن قد دَرَجَ استظهارُ ملفوظِ الظَّنّ على حَرْفٍ احتماليّ ذي بنيةٍ أحاديةِ التكوينِ بمعياريةٍ صوريةٍ على نحوينِ تاليينِ:

الأول: خلوص اليقين؛ إذ من سَنَنِ العربيةِ عندهم حملُ الظنّ على صَريفِ أصلِ الوضعِ وضدِّهِ إلا أنَّ رجحانَ العلمِ مانعٌ من نقيضه، والظن بخلافه، واستحقاقُ المدحِ في الآيةِ محمولٌ على التصديقِ الخالصِ المحضِ بلقاء الله لا مَشوبِهِ؛ ذلك أنَّ بابَ الإيمانِ معقودٌ على الجزمِ البتةَ (الرازي، 1985: 53/1)، ومن شواهد تلك الوجهة قولُ دريدِ بنِ الصمة: (الطبري، 1986: 206/1)

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنّوا بِأَلْفَي مُدَجَّجٍ سَراتُهُمُ في الفارِسِيِّ المُسَرَّدِ

وقولُ عَميرةَ بنِ طارِقٍ: (الطبري، 1986: 206/1)

بِأَنْ تَغْتَزوا قَوْمي وأَقْعُدُ فيكمُ وأَجْعَلُ مِنّي الظَّنَّ غَيْبًا مُرَجَّمًا

الثاني: خلوصُ الظَّنّ محمولًا على ظاهره من توجيهِ مخصوصهِ المُرَكَّبِ الإضافِيّ مُلْقُواْ رَبِّهِمْ بأحدِ ثلاثةٍ:

1. أنه مُسَبَّبٌ عنِ الموتِ فأُطْلِقَ المُسَبَّبُ وأُريدَ سببُهُ؛ وهو مَجازٌ مُجازٌ عندَهم أنْ قيلَ لمن ماتَ: لَقِيَ رَبَّهُ، والمعنى: وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين الذين يتوقعون الموتَ فيستبقون التوبةَ ويتلافَوْنَ التقصيرَ.

2. بمعنى ملاقاةِ ثوابِ الرَّبِّ مظنونًا غيرَ مقطوعٍ به فيحمل صاحبه على كمال الخشوع.

3. بمعنى أنهم يظنون ملاقاة ربهم بذنوبهم؛ فالخاشعُ لا يأمنُ مَكْرَ الله. (الرازي، 1985: 53/1)

وقد يتَّجِهُ المُرَكَّبُ المظنونُ ذاكَ عِنْدَ بَعْضِ المُحْدَثينَ إلى قُرْبِ المَأْخَذِ وبداهةِ التَّحَقُّقِ؛ إذْ تَعَلَّقَ بأمرٍ هَوْلٍ موجِبٍ لداعي الاضطرابِ والقلقِ، مُنْداحٍ في دائرةِ الوَعْيِ بلازِمَةِ الخشوعِ بدءًا بالتَّنَبُّهِ حيثُ انقداحُ صورةِ البعثِ في النَّفْسِ المُدْرِكَةِ، فالشَّكِّ، فالظَّنِّ الرّاجِحِ قَسيمِ نَقيضِهِ، والظَّنُّ مِنْ تلكَ الوِجْهَةِ كافٍ في مجانبةِ المُخالَفَةِ مِنْ قِبَلِ بني إسرائيلِ نظير قولِهِ تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا**﴾ **[الكهف: 110]**(الطباطبائي، 1976: 153/1، 154)؛ فكيفَ إن كانَ العِلْمُ القاطِعُ واليقينُ الجازِمُ؟ وذلكَ «أَبْلَغُ في التَّقْريعِ والتَّوْبيخِ؛ كأنَّ هؤلاءِ الذينَ يأمرونَ الناسَ بالبِرِّ ويَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وهُمْ يَقْرَأونَ الكِتابَ لا يَصِلُ إيمانُهُمْ باللهِ وبِكِتابِهِ إلى دَرَجَةِ الظَّنِّ الذي يأخُذُ صاحِبه بالاحْتِياطِ». (رضا، 1972: 250/1، 251)

وقد يكون هناك ضربٌ من التذهينِ التصوريّ المُرَكَّبِ ذي التَّمَقْوُلِ[3] الأنطولوجي، بكياناتِهِ المُتآزِرَةِ المصحوبةِ بالأُطُرِ والنَّمْذَجةِ المُؤَمْثَلةِ ، المبنيةِ على تماسكِ الأغيارِ، مُتجاوِزًا حِمى التمثيلاتِ الدلاليةِ بوحداتِها اللغويةِ وأنساقِها المُرَمَّزةِ؛ ذلك حينَ يكونُ المعنى أغنى مِنْ مُجَرَّدِ ضَمِّ أجْزائِهِ؛ يقابله عصبيًا: وحدة الجميع تتغلب على تعدد الأجزاء كما يرى عالم الأعصاب الفرنسي Jean-Pierre Changeux (أرمسترونج، 2022 : 73) فالآيةُ الكريمةُ قد تُشَكِّلُ معطياتُها شبكةً إدماجيةً هي عبارةٌ عن تركيبٍ نسيجيّ مَسيكٍ سُداهُ ولُحْمَتُه أنِ استوت على المعنى أبنيةٌ حُبُكٌ مِنَ الأضدادِ السيّارةِ المحكومةِ حركتُها بعمليات التركيبِ والإكمالِ والبَلْوَرَةِ، والإشراقُ الوجدانيُّ فيها هواستعلاءٌ تذهينيٌّ مفهوميٌّ، استغراقيٌّ في عمومِ أفرادِ الذاتِ، مخلوقٌ من دَرَكةِ المخالفةِ اليهوديةِ الحالكةِ، مبنيٌّ تصورُه على حزمتينِ مُعْتَقِبَتَيْنِ، مُتَّسِقَتَيْنِ والسننَ الكونيةَ بمعلوليةِ الظلمةِ والنورِ والموتِ والحياةِ؛ فعلةُ الظلمةِ هو عدمُ علةِ النورِ، وعلةُ الموتِ هو عدمُ علةِ الحياةِ، فالضدانِ مخلوقانِ رِدْفانِ في النَّشْأةِ الأولى لا عدميانِ؛ إذ وردتْ في معرض قوله تعالى: ﴿**يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَٱرْهَبُونِ40 وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّيَ فَٱتَّقُونِ41 وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ42 وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ43 أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ44 وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ45 ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ 46**﴾. **[البقرة: 40. 46]**

وضابِطُ المعنى القارّ في معرض ملفوظِ اليقين أوالظن (أنَّ) المؤكِّدةُ قرينةً صارفةً عن مَظَنَّةِ التنافي بينَ الثابتِ والمتحوِّلِ، مُقابِلَ الإقْلاقِ بـ (أنْ) المصدريةِ الناصِبَةِ؛ ففي حجةِ أبي علي: «الأفعال على ثلاثة أضرب: فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره؛ وذلك نحو العلم والتيقُّن والتبيُّن والتثبُّت، وفعل يدل على خلاف الاستقرار والثبات، وفعل يُجْذَبُ مرةً إلى هذا القبيل، وأخرى إلى هذا القبيل، فما كان معناه العلمَ وقعت بعده أنَّ الثقيلةُ، ولم تقع بعده الخفيفةُ الناصبةُ للفعل؛ وذلك أنَّ أنَّ الثقيلةَ معناها ثباتُ الشيء واستقراره، والعلم بابه كذلك أيضًا، فإذا أُوْقِعَ عليه واستُعْمِلَ معه كان وفقَهُ وملائمًا له، ولو استُعْمِلَتِ الناصبةُ للفعلِ بعدَ ما معناه العلمُ واستقرار الشيء لم تكن وِفْقَهُ فتباينا وتدافعا، ألا ترى أن (أنْ) الناصبة لا تقع على ما كان ثابتًا مستقرًا؛ فمن استعمال الثقيلة بعد العلم ووقوعه عليها قوله: ﴿**ويعلمون أن الله هو الحق المبين**﴾ **[النور: 25]** و﴿**أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ**﴾ **[العلق: 14]**... وأما ما كان معناه ما لم يثبت ولم يستقر فنحو: أطمعُ وأخافُ وأخشى وأُشْفِقُ وأرجو، فهذه ونحوها تستعمل بعد الخفيفة الناصبة للفعل؛ قال: ﴿**وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي**﴾ **[لشعراء: 82]** و ﴿**تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ** ﴾ **[الأنفال: 26]** و ﴿**إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا** ﴾ **[البقرة: 229]** ﴿**فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا**﴾ **[الكهف: 80]** ﴿**ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ**﴾ **[المجادلة: 13]** وكذلك أرجو وعسى ولعلَّ.

وأما ما يُجْذَبُ مرَّةً إلى هذا الباب ومرَّةً إلى الباب الأول فنحو: حسبتُ، وظننتُ، وزعمتُ، فهذا النحو يجعل مرَّةً بمنزلة أرجو وأطمع من حيث كان أمرًا غير مستقر، ومرةً يجعل بمنزلة العلم من حيث استعمل استعماله ومن حيث كان خلافه... وقال سيبويه: لو قلت على جهة المشورة: ما أعلم إلا أن تَدَعَهُ لنصبتَ؛ وهذا لأنَّ المشورةَ أمرٌ غيرُ مُسْتَقِرٍ ولا مُتَيَقَّنٍ من المشير، فصار بمنزلة الأفعال الدالة على خلاف الثبات والاستقرار» (الفارسي، 2001: 129/2 .131) غيرَ أنَّ أبا عليٍّ التزمَ قياسَه ذاكَ في معرض الآية الكريمة تارةً، وجَوَّزَ الخروجَ عنه أُخرى، في تَعازٍّ مَعْرِفِيٍّ ضِديٍّ دونَ أنْ يُمثِّلا حُزْمةً تصوُّريةً جامعةً عنده؛ ففي أكثرَ من موضعٍ حمل ملفوظَ الظنِّ على معنى اليقينِ بالبعثِ وِفْقَ ما حَدَّه، (الفارسي، 2001م، 270/1، 131/2)وفي آخرَ جوَّزَ الحملَ على معنى الظنِّ بثوابِ الله على الرغم من وجودِ (أنَّ) الثقيلةِ.(الفارسي، 2001: 270/1)

يعنى به عملية تحويل المفهومات المجردة والمعقدة والخبرات الذهنية إلى مدركات مألوفة باستعمال اللغة.(1)

وأحسب أن الربط بين الوحداتِ اللغويةِ السطحيةِ البسيطةِ المتدافعةِ في ظاهرِ القياسِ مفتولٌ بصريحِ المعنى وضمنِيّهِ تسييقًا معرفيًّا مُرَكَّبًا عميقًا؛ إذْ «يمكن أن يقال: إنَّ نفسَ الحشرِ والجزاءِ المطلقِ مُتَيَقَّنٌ، والجزاء المخصوص مظنونٌ؛ فالعِلْمُ يتعلَّقُ بالأَوَّلَيْنِ، والظنُّ والتَّوَقُّعُ يتعلَّقُ بالثاني» (القُونَويّ، 2001: 264/3، 265) حيثُ الرَّجاءُ بلازمةِ الخوفِ؛ فالتصورُ المقصودُ إذن ليس مجرَّدَ تمثيلٍ نَسَقيّ لإحالةٍ مرجعيَّةٍ وجدانيةٍ؛ بل هي بنياتٌ معرفيَّةٌ، وتَبْصِرَةٌ استغراقيةٌ عاقِدةٌ، متكافئةُ الأضدادِ، تُسْتَحَثُّ باللغةِ، مخلوقةٌ في سياقِها مِنْ أنكاثِ العَمَهِ وغَبَشِ التَّذهينِ، فِرْزُها التقويمُ والإنجازُ، وبيانُ العلائقِ المَعْنِيَّةِ في خُطاطةٍ آتيةٍ:



الشكل (2)

ومن خلالِ المعطياتِ اللغويةِ السالفةِ يمكن القولُ بأنَّ سيرورةَ ذَيْنَكَ الفضاءينِ الدَّخْلَيْنِ عمليةٌ ذهنيةٌ إسقاطيةٌ نحو فضاءٍ جامعٍ حيثُ قرارُ الإيزاعِ الضِّدِيّ، أعقبه إسقاطٌ انتقائيٌّ في فضاءٍ معرفيٍّ مَزيجٍ هو الخشوعُ؛ تقريبُها بالخُطاطةِ الآتية:



الشكل (3)

ويبدو أنَّ اليقينَ كادَ أنْ يأتيَ على أصيلةِ المعنى في الموروثِ المعرفيّ لولا أنْ تَداركَه قَوْلَةُ الظَّنّ وما تحمله من الجزاءِ المخصوصِ مَرْجُوّهِ ومَخوفِهِ، ولئنْ كانَ مخصوصُ الترهيبِ مُتَجَلِّيًا بضميرِ (الأنا) المُطْلَقِ رِدْفَيْ جَولتينِ حِجاجِيَتَيْنِ متساوقتينِ: ﴿**وَ إِيَّيَ فَٱرْهَبُونِ**﴾، ﴿**وَ إِيَّيَ فَٱتَّقُونِ**﴾ فالتعويلُ على دالَّةِ

الوازعِ المظنونِ زعيمٌ بهِ مقامُ التأثيلِ الرّوحِيّ لعمومِ المُكَلَّفينَ؛ إذِ الخوفُ هو كينونةُ الخَلْقِ الأَوَّلِ، وغريزةُ وجودهِ، ولازمةُ بقائهِ، قوامُ حقيقتهِ توقُّعُ مَكروهٍ أو فواتُ محبوبٍ (الجرجاني، 1983: 101) مذ وَجَدَ الإنسانُ المتأملُ ذاتَه محكومةً بضوابطَ ثيولوجية ذاتِ صبغةٍ عيانيةٍ وضعيةٍ، موصولةٍ حكمًا بمرجعيةٍ جوهريةٍ مطلقةٍ، فالدينُ حالةٌ إيمانيةٌ خائفةٌ مُخْبِتةٌ إلى ربوبيةٍ عالٍ غيبيّ مُفارِقٍ، مصحوبةٌ بعملٍ؛ يقول سبحانه: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ **[النحل: 50]** وقد يستعار مثلًا حافِزًا ففي حديثٍ رواه الترمذيُّ بإسنادٍ حَسَنٍ: «مَنْ خافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ ألا إنَّ سِلْعةَ اللهِ غالية، ألا إنَّ سلعةَ اللهِ الجَنَّة»(النووي، 1986: 193) و صورةُ التعبُّدِ بالخوفِ تلك لا تخرج عن مفطورِ الشعور وجوهر حقيقته؛ ذلك أنَّ «كُلَّ الانفعالاتِ في جوهرِها هي دوافعُ لأفعالِنا...وهي الخططُ الفوريَّةُ للتعامُلِ معَ الحياةِ التي غرسها التطوُّرُ، وأصلُ كلمةِ انفعالٍ جاء من الفعل اللاتيني Motere يتحرّك بالإضافة إلى البادئةِ E التي تعني التحرك بعيدًا، في إشارةٍ إلى أن كلَّ انفعالٍ يتضمَّنُ نزوعًا إلى القيامِ بفعلٍ ما» (جولمان، 2009: 21)، كما أن (ع. ط. ف) في العربيةِ أصلٌ دلَّ على حركةِ انحناءٍ وميلٍ (ابن فارس، 1979: 351/4)

والخوفُ الطبيعيُّ ضرورةُ حمايةٍ وباعثُ نَفْعٍ كما يقولُ خبراءُ الاجتماعِ؛ فمن خافَ الجوعَ سعى إلى الطعامِ، ومن خافَ العطشَ سعى إلى الرّيّ، ومن خاف الخيبةَ سَعى إلى الفلاحِ، ولما أنْ كانت سيرورتُه تَصَعَّدُ إلى الفصوصِ الجهيةِ اليمنى من الدماغِ اقْتَضَتْ صِبْغَةُ اللهِ أنْ يُقابلَه ضابِطٌ عَصبيٌّ في الفصوصِ الجهيةِ اليسرى بمراجعةِ اللوزةِ وغيرِها من دوائر العقل العاطفي(جولمان، 2009: 46، 47) لئلا يَفْرُطَ نَشاطُه أو أنْ يَطْغى، وكذلك هو باب الإيمان بينَ انقداحِ خَوفٍ وضابِطِ رجاءٍ إذ هما «زمامانِ على النفوسِ لئلا تخرجَ إلى رعوناتِها»كما يقول القشيري(القشيري، 2007: 159)وهما يتعاوران العقلَ العاطفيَّ بحسب الغالبِ على طبيعة المكلَّف؛ فالخوفُ بلا رجاءٍ يأسٌ وقنوطٌ و﴿**لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ**﴾ **[يوسف: 87]** والرجاءُ بلا خوفٍ أمنٌ من مكر الله ﴿**فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ**﴾ **[الأعراف: 99]**.(الغزالي، 2011: 471/7، 481. 483)

إنَّ المسلكَ الظنيَّ الضِّدِّيَّ المتوازنَ للخوفِ التَّعَبُّديّ وقسيمهِ في مِعْراجِه الأسنى يكادُ يتَّفِقُ مع نظرةٍ بيولوجيةٍ حديثةٍ ترى أنَّ الدِّماغَ يُنْتِجُ تَدَفُّقاتٍ مُتَساوِقَةً منَ التَّوَقُّعاتِ غيرِ الواعِيَةِ ثانيًا بعِطْفِهِ عن تصوُّرٍ رتيبٍ يرى في غيرِ الوعيِ أحيازًا لأفكارٍ وبواعِثَ مذمومةٍ كما في تداعياتِ التصنيفِ الفرويدي الفاصِلِ بينَ الأنا والهو والأنا الأعلى؛ «إذ تُشيرُ الدِّراساتُ الحديثةُ إلى أنَّ العملياتِ الواعيةَ وألَّا واعية لا تعملُ بالضرورةِ بالتَّضادِّ، فلا منافسةَ بينهما للهيمنةِ على عقليتنا، ولا هما نِطاقانِ مُنفصِلانِ..بل يوجدُ عقلٌ واحدٌ تتناسجُ فيه خيوطٌ واعِيَةٌ وغيرُ واعيةٍ».(الحمداني، 2020: 203)؛ فاشتغالُ الذهنِ في أصله يقومُ على المعالجةِ الحدسيةِ المتوازيةِ إذ تنتظمُ أخلاطُ المدخلاتِ في الدماغِ الحوفيّ قبلَ أنْ تتجهَ ممازةً إلى سبورةِ الوعيِ بطريقِ التسلسلِ الإراديّ، ومن أقدر بنى الدماغِ على النمطِ الأول المخيخ إذ يقدر غيرَ واعٍ في الغالبِ على أشد الأوضاع الحركيةِ تعقيدًا؛ كالمشي مع المحافظةِ على التوازن، أو قيادة دراجة وغيرها، وحين يتدخل الوعيُ تنخفض قدرته لينكفئ على مسارٍ واحدٍ (طعمة، 2017: 148، 149) وهو توجيهٌ قد ينسجمُ وضربًا من التذهينِ الوجدانيّ إذ يتجلّى رَغَبًا ورَهَبًا ليصلَ إلى منتهاه حيثُ التخليةُ عن المشهودِ ودفعُ مظنةِ جنوحِ الوعيِ؛ وذلك يتفق وبعضَ مقتضياتِ المزجِ التصوريّ، إذ «إنها نظريةٌ في القدراتِ العرفانيةِ البشريةِ. نظرية ترفع تحديًا معرفيًّا عويصًا؛ إذ تزعم الكشفَ عن الآلياتِ الذهنيةِ اللاواعية التي وضعتِ الطبيعةُ دونها حجابًا في الفهم. (غنيم، 2019: 15)

ومن مثل ما سبق من أدخال التصور الوجداني تلك الحَيَواتُ المتلاحقةُ بعارضين متنافيين في مجزوء الرؤية ذاتِ الأبعادِ القصيرة المنكسرة؛ من حياةٍ دنيا، فبرزخٍ بواقعِ الموتِ، فحياةٍ آخرة، في قوله تعالى: ﴿**كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ۝ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝**﴾ **[القيامة: 26 - 30]**، ولكلٍ أحكامٌ مختصة؛ تسري في الأولى على الأبدانِ والأرواحُ تبعٌ لها، وفي الثانيةِ على الأرواحِ والأبدانُ تبعٌ لها، وفي الثالثةِ على الأرواحِ والأبدانِ معًا، فبالرغم من أن الحياة والموت حقيقة ظاهرها التعارض إلا أن باطنها التكامل لسيرورة مفارقة؛ ذلك أن فيزياءَ حياةِ القُسَيْماتِ الأولية Elementary Particles ما دون الذرية وموتها لهيَ تغَيُّرٌ في مسير الحركة الأصلية الجوهرية وتصعُّدها المشتمِل، في تسارعٍ كونيٍ متراتبةٍ مستوياتُه بينَ ذريةٍ وبيولوجية وسيكولوجية، وفي السياق البيولوجي يرى العالم الفرنسي شارل نويل مارتن أنْ لا يمكن الإحاطةُ بالوجود؛ إذ يتجاوز قدرة الرصد، إلا أنه متصوَّرٌ بوصفه كيانًا متَّسِمًا بثباتٍ يجوز ثنائيةَ التحولاتِ الطارئةِ المختلفةِ الحياةِ والموتِ، المحكومةِ بمبدأ انخفاضِ الطاقةِ المعزِّزِ لديمومةِ الصفةِ النوعيةِ للوجود ذاتِهِ (http://www.maaber.org/issue_january08/perenial_ethics2.htm) ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ**﴾ **[العنكبوت:64]**.

إن فضاءَ الدخلِ الأولِ مبنيٌّ على محمولٍ نفسيّ ذي تمثيلٍ ذهنيّ لدركةِ الإقلاقِ ومظنونِ الفراقِ: (ظَنَّ)؛ علامةً على حب الدنيا وكراهة الموت رغم الاحتظار، وذلك ضربٌ من إخضاع الحقيقة الغيبية لرغائب النفس، وإماهتها في (أنا) مشربةٍ بحبّ العاجلِ ﴿**كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ**﴾ **[القيامة: 20]**: إنها عملية حجر للوجود الكلي والحياة الكونية في مكانٍ ضيّقٍ حَرَجٍ ممثلٍ في (أنا) شَرودٍ عن حاضرٍ محتومٍ، وفضاءُ الدخلِ الثاني والمزيجُ مؤكَّدانِ بـ (أنَّ)

وقرينةِ رتبةِ تقديمِ الخبرِ المخصَّصِ، مع تقييد زمانه بظرفين متضايفين مختومين بتنوينِ عِوَضٍ مطويَّةٍ أحداثُه.

ومن خلال ما سبق ندرك أنْ قد لا يُعْدَم التداخل بين نظريتي الفضاءاتِ الذهنيةِ والمزجِ؛ بل اضطلعت الثانية بعمليةِ تدويرٍ لسابقِ الأمثلةِ الطرازيةِ وِفْقَ منوالِ الشبكةِ[4] Network model ؛ وفي ذلك علامةٌ «على وجود تناسبٍ طرديٍّ بين بساطةِ الظاهرةِ ووضوحها في المستوى الواعي من جهةٍ، ودرجة خفاء العمليات اللاواعية الكامنة خلفها من جهةٍ أخرى، فبقدر البداهة على السطح يكون التعقد في العمق»(غنيم، 2019: 16، 22)، وكان ذلك على سبيل فرضية النشر والضم لثنائية الضدينِ محمولي الظنِّ واليقينِ؛ متماسكي الدلالةِ بدالتي صريفِ لفظِ الأول ومقتضى مقابله بـ(أنَّ)، فِرْزُهُ مفهوماتٌ وجدانيةٌ هجينٌ.

المحور الثالث: تَماسُكُ اليقينِ والظنِّ في سياقِ الإحالةِ التصوريةِ

يعد النسق التصوري في عمومه من أبرز مكتسبات مصدرين علميين: أولهما فلسفة الذهن الحديثة المبنية على نتاج العلوم المعرفية؛ ذلك أنَّ العالم الذهني بمعانيه وأفكاره ومقاصده وبواعثه يتمثل في عالَم فيزيولوجيٍّ مُطَرَّزٍ بكتلةٍ من التصورات، غِبُّها كميةٌ متناهٍ حَدُّها من بنياتٍ وسلوكياتٍ تقوم على آلياتٍ ومبادئِ تأليفٍ مُحْصاةٍ، كما أنَّ الذهن ذو بنيةٍ قالبيةٍ ونَسَقٍ مركَّبٍ من أبعاضٍ كاثرةٍ متفاعلةٍ، تَضَّافَرُ لتوليدِ سلاسلِ أفكارٍ، وأعمالٍ منظَّمةٍ، ونماذجَ تحليليةٍ، تسير عبر ملكات ذهنية ذاتِ أنماطٍ متداخلةٍ من المضمونات، والمصدر الثاني يقوم على سيرورة المعرفة والعاطفة في الدماغ؛ من عمل الخلايا العصبية على المستوى المجهري، إلى كيفية تفكير الناس وحديثهم وتذكرهم وتصورهم ومورَّثاتِ سلوكهم؛ من خلال علم الأعصاب المعرفي والوراثيّات السلوكية behavioral genetics، وجملة ذلك مرده ترابطٌ سببيٌّ غائرٌ بين أخلاط ظواهر الطبيعة والمعرفة من المادية الفيزيائية إلى الذهنية التصورية. (غاليم، 2021: 87، 88، 92)

والإحالة علاقة صلة بين شفرة اللغة وذات أو جماد، محالٍ عليهما في العالم الخارجي بأبعادٍ ثلاثةٍ: دالٍ متراتبةٍ أصواتُه في عبارة، ومدلولٍ ذي تجريدٍ مفهومي تنتظم فيه مجموعة أشخاص وأشياء، ومدلولٍ عليه في الواقع أو العالم الخارجي (المتوكل، 2010: 19)، وتتعدَّى - في مستواها الدُّوليّ - مجرد إحالة الأسماء إلى مسمياتها إلى تعيين الملفوظ في عالمه لإنجاز مطلوب (بلانشيه، 1986: 116)، وفي إطار النظرية التصورية النفسية هي رهين عمليات تنظيم ذهنية واعية بعالَم مُسْقَط projected world، متأوَّل على سمت منظوم الذهن، بكينونةٍ مشروطةٍ بتصور مستعمِل اللغة لا واقعِ التجربةِ بالضرورة (غاليم، 2021: 149، 150) وفق علائق متسلسلة على نحوٍ تالٍ:



الشكل (4)

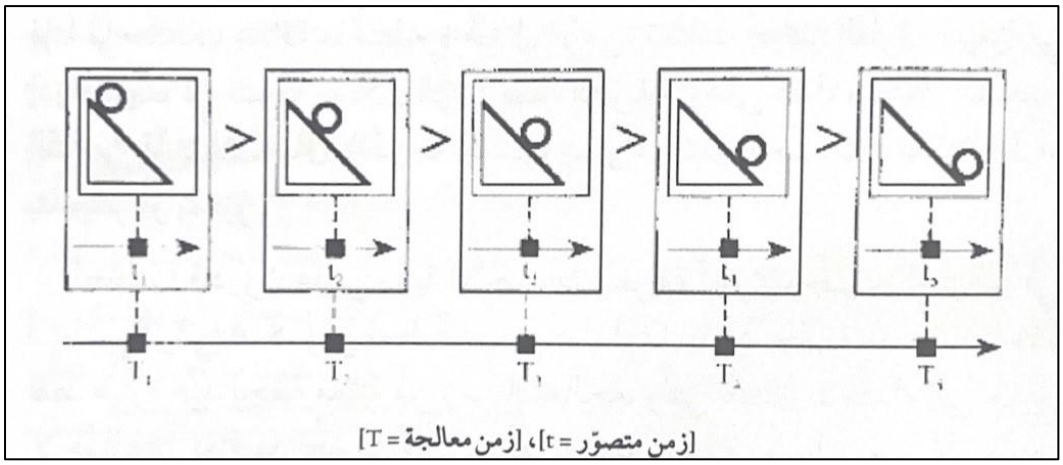
إنَّ الوجاهاتِ بأنساقها المُدْمَجَةِ من إدراكٍ بصريٍّ وسمعي ونمطٍ تصوريٍّ وتمثيلٍ فضائيٍّ هي التي تشكل بنيةَ الإنسانِ التصوريةَ المُكَيِّفةَ لمحمولاتٍ

(1) إحالة معرفية لنسق تصنيفي يعبر عن أنموذج شبكة الفضاءات الذهنية بحسب الفضاء الذهني الذي حدد مفهومه جيل فوكونياي في صيغته التأسيسية.(غنيم، 2019: 139)

نفسيةٍ استعماليةٍ مسنَدةٍ إلى ذوات؛ من اعتقادٍ وقصدٍ ورغبةٍ..إلخ كظنَّ، ورأى، وحسِب، وزعم، ونحوه (غاليم، 2021: 102، 103)، والبنية التصورية تلك المصوغة بدالّات اللغة قد تتشكل بكيانات إحاليَّة يحفل بها العالَم، غير مألوفة باديَ الرأي؛ إذ تجوز حقلَ الموضوعات إلى مقولات، ومسارات، ومسافات، ومحلات، وكيفيات، وأصوات، ومقادير؛ بل قد أصبح «متغير الحدث» من مأنوس الدلالة التصورية في عمومها.(غاليم، 2021: 99، 100)

وترميز الإحالة التصورية ذو هندسة نحوية متوازية من تركيب ودلالة وصواتة، عبر وجاهات داخلية بين أنساقٍ فرعية مُكَوِّنةٍ، وأخرى خارجية رابطة بين النسق اللغوي وأنساق إدراكية وتصورية أخرى(غاليم، 2021: 164)؛ إذ اللغة بطبيعتها تستعلي على حرفية القولة؛ ذلك أن المعاني: «تَفْضُلُ عن الأسماء، والحاجاتُ تَجوزُ مقاديرَ السِّماتِ، وتَفوتُ ذَرْعَ العَلاماتِ»(الجاحظ، 1969: 201)، يبدو ذلك من دوالٍ لفظيةٍ نفسيةٍ ضديةٍ مرتبطةٍ بالنسق التصوري لنظرية الذهن Theory of mind؛ كوقوعِ فِعْلٍ مظنونٍ دالٍ إسناده على فضاء الإمكان بلفظمٍ وظيفيّ ناصبٍ(أنْ) رديفَ فعلِ الرؤيةِ (يرون) ذي المحمولِ الجازمِ في التمثيلِ الذهنيّ استعمالًا لغويًّا مُجازًا عند الفراء(السيوطي، 1910م، 2/2) والزجاج (النحاس، 1980: 356/2) ذا مبدأ تأليفٍ ذاتيّ بانزياحٍ مبكّرٍ عن معهودِ التركيبِ الخَطِّيّ، كما في قراءة أبي حيوة حكايةً عن بني إسرائيل إذ أشْرِبوا في قلوبهم العِجْلَ فعبدوه: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ **[طه: 89]** (ابن خالويه، 1934: 89، أبو حيّان، 2001: 250/6)، فضلًا عما في مجانبة ملفوظ: (ينظرون إلى)؛ من انصرافٍ عن جهةِ التدرجِ الخاصّ بالأعمالِ ومظنة عدم المعاينة، ومسرد الآية تلك ذو تماسك دلالي بما قبله قال ﷻ: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۝ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ۝ فَنَسِيَ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾؛ إذ تُحيل الآيةُ المعنيةُ إلى ضربٍ من العلاقات النسقية في السلسلة الكلامية، بمجالاتٍ ذاتِ تنوُّعٍ مُتَنامٍ من حيث درجةُ التركُّبِ المفهوميّ في سُلَّمِيَّةٍ ممتدةٍ من مفهومٍ أدنى ممثلٍ في لونٍ أصفرَ من زينةِ القومِ حِليةً استدعاءً ذهنيًّا لمَفْهَمَةِ الابتلاءِ:﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ **[البقرة: 68]** ، إلى تصورٍ أكثرَ بلورةً مُنَضَّدٍ بوجاهٍ يربطُهُ بدرجة حرية فضائية متحولة بطريق الصناعة، ليفتر عن مفهومٍ أمضى في درجة الخُطاطية (جَسَدًا) (له خُوارٌ)، وصولًا إلى مِنْوالٍ معرفيٍّ مُؤَمْثَلٍ لمعبودهم.

وإذ يُسْتَظْهَرُ تساوُقُ الثابتِ والمتحولِ الرَّيبِ بدوال (يَرَوْنَ) (أَلَّا يَرْجِعَ) (ولا يَمْلِكَ) يجدُ التبئيرُ الدلاليُّ المعرفيُّ مَوضِعَهُ ببروز ضديّ منتقى ممثلٍ في أماميةٍ ناتئةٍ إذ لا يتَّبعون إلا ظنًّا مقابل خلفية يقينية داعمة فنُزِّلوا منزلةَ من لا يرى بطريق الاستفهام الإنكاري لعدم جريهم على موجب البصيرة، فرغم يقينهم بزيف معبودهم إلا أنهم يرجونه، والإمازة بطريق الضد نمطٌ مسنونٌ بين الأطرافِ المتقابلةِ حسب رونالد لانْقاكِر (لانْقاكر، 2018: 117، 118)؛ وطرازُ التأليهِ اليهوديّ معرفيُّ الدلالةِ ذاك لم يكن سكونيًّا ثابتًا حائدًا عن مجانسةِ سيرورةٍ نشطةٍ لاستعمالِ الأفعالِ الغالبِ عليها الحدوثُ والتجددُ والطُّرُوُّ في (يرون) (ألا يرجعَ) (لا يملكُ) ومن قبلُ (فأتَوا) (يعكفون) (اجعل) (تجهلون) من قوله ﷻ: ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ **[الأعراف: 138]** بل بأطوارٍ متآخية من المفهماتِ الإحاليةِ الحركيةِ التصورية المتبلورة خلال مسحٍ فضائيّ مُشَيَّأٍ وآخَرَ زمنيّ لأحداثٍ متعاقبةٍ مستغرقٍ لوجوهِ التجربةِ الذهنيةِ في سياقٍ ماديٍّ واجتماعيٍّ وثقافيٍّ إثْنِيٍّ فَعَصَبِيٍّ لبني إسرائيلَ؛ كل ذلك خلال مسحٍ تتابعيٍّ وآخرَ مُجْمَلٍ غيرِ متنافِيَيْن؛ إذِ الأولُ يمثِّلُ الطبيعيةَ الحقيقيةَ لتجربةِ الإبصار المُزامِنة حالًا مكوّنِيَّةً[5] Constituency متراكمةً مخزونةً في الذاكرةِ قصيرةِ المدى قابلةً لاستدعاءٍ لحظيّ مُجْمَلٍ ومجموعُ كُلِّ انبناءٌ شموليٌّ وثنيٌّ مبأّرٌ.(انظر لانقاكر، 2018: 184، 185) تقريبه بالخطاطة الآتية:



الشكل (5): (لانقاكير، 2018: 185)

(1) تجربة الإبصار الجارية في الزمن الحقيقي التي "تكوّن جشطلتًا مفردًا شبهًا بصورة فوتوغرافية متعددة اللقطات" قابلة للاهتداء إليها بعدُ.(لانقاكر، 2018: 184، 185)

إنَّ النفسيةَ اليهوديةَ بطريقِ التقابلِ المبرَّزِ في الآيةِ تتردد في ريبها قلقةً؛ ما تكادُ تتجشَّمُ الإيمانَ بعيانيةِ الآياتِ حتى يُطْبِقَ عليهِ الكفرُ فيركُمَهُ جميعًا، وفي سفر التثنية: ‹‹هل تكافئون الربَّ بهذا يا شعبًا غبيًّا غيرَ حكيمٍ؟›› (مارش، 1973: 108)، إنه تشوهٌ معرفيٌّ متساوقٌ وسنيَّ عبوديةِ فرعونَ وملئه لهم مبنيٌّ على ميكانيزماتِ أفكارٍ تلقائيةٍ سلبيةٍ تنعكس على رؤية للذات والعالم والمستقبل والإله؛ فالعِبرانيون في مصر قبل التيهِ تبنوا جلَّ الثقافة المصرية إن لم يكن كلها، وربما تحدثوا بلغتهم (المسيري، 2009: 61/1، 62)؛ وفي طرفٍ من وثنيتهم يقول ياروسلاف تشرني: ‹‹وتعود عقيدة العجل حابي Hapi بالمصرية وأبيس Abis باليونانية إلى الأسرة الأولى. على الأقل. في مركز لها في مدينة منف، كما أن عقيدة عجل آخر هو مِرْوِر Merwer بالمصرية ومْنيفيس Mnevis باليونانية إلى نفس الوقت تقريبًا..أما عقيدة البقرة المقدسة فقد وجدت لها عدة مراكز؛ منها الإقليمان السابع والثاني والعشرون في مصر العليا، والإقليم الثالث من الدلتا، وفي عصر مبكر للغاية كان الرمز الحيواني المقدس للإلهة حتحور في دندرة هو البقرة›› (تشرني، 1996م، ص21، 22)؛ وكان أن استقر في التذهين الفرعوني البقرة المذهبة رمزًا للخصب والنماء وطول العمر والخلود (موسى، 2017: 38، 39، 69، 70) والثيرانُ لسلطانهم الغالبِ (تشرني، 1996م، ص14)؛ ولعلها مفهوماتٌ قارَّةٌ في وجاهٍ واصلٍ بين البنيتين التصوريةِ والفضائية في بني إسرائيل حرمانًا وصَغارًا وسومَ عذابٍ قبلُ، فأعقبها في نفوسهم سلطانُ المادةِ والخوفِ والجُبْنِ والقلقِ وحبِّ البقاءِ وقهرِ الأغيارِ، حتى كادتْ أن تكون جينومًا نمطيًّا مشفَّرًا تفكُّهُ أحداث التاريخ وتحفزه تراتيل مسارد كتبهم المحرفة.

لقد كشفت اللغة عن جملة من التصورات الإحالية الأولية كالموضوع والفراغ والحركة والحدث والحالة والزمن والقصد والعمل ونحوها، بطريق الفكر التأليفي القائم على علاقاتٍ دلالية متقابلة بين اليقين والظن محمولين نفسيين وتداعياتهما، بوجاه واصل بين المفهوم والتصور والفضاء.

الخاتمة والنتائج

رأينا أن الثنائية الضدية المتمثلة في محمولي اليقين والظن لتتحيزُ بنيةً تصوريةً إظهاريةً متماسكةً مُبَأَّرةً، ذات إيزاعٍ معقدٍ منتظمٍ في الذهن/ الدماغ، ينعكس ترميزًا على مُنْجَزٍ مُعْجِزٍ ممثَّلٍ في مناويلَ من كتابِ اللهِ، في سياقٍ مبنيٍّ على تأويلٍ تحركه عملياتُ التركيبِ والإكمالِ والبلورةِ توسيعًا إبداعيًّا نحويًّا معرفيًّا متوازيًا بوجاهٍ واصلٍ، قد يبدو مستعليًا على أنساق متماثلةٍ معياريةٍ مأنوسٍ بها، وفق تكاملِ بنى المفهوم والتصور والفضاء قوامه التداخلُ والتهجينُ والمزجُ والإحالةُ، وقد خلصت الدراسة إلى نتائج منها:

أولًا: الضدُّ لا يكون إلا بضده علاقةً قائمةً على لازم الوجود بغيره لضربٍ من التكامل، وذلك ينعكس على تمثُّلاتِ أضدادِ القولةِ ذاتِ الحِملِ النفسيّ وجاهًا مِزاجُهُ المفهومُ والتصورُ والفضاءُ.

ثانيًا: إن مبدأ التكامل بين كيانينِ وجوديينِ منفصلينِ متمثلينِ في ثنائية الذهنِ والدماغِ والبنيةِ والوظيفةِ، لا يعني اختزالَهما في جوهرٍ حتميٍّ أحاديٍّ إقصائيٍّ ذي كينونةٍ فيزيائيةٍ، يعطو إلى كفايةٍ عصبيةٍ ناشطةٍ لإنتاجِ التعقُّلِ.

ثالثًا: إن الإدراكَ الدّوليَّ للغةِ تتحيَّزُ مولّداتُه أوزاعًا بيولوجيةً قارةً في بُناها بأغيارها المتقابلةِ المبنيةِ على مبدأِ عدم التناقضِ بأزواجِ الانفصالِ والتشابُكِ، والفردِ والمجتمع، والسعةِ والضيقِ، والبساطةِ والتعقيدِ، والعقل والحس، والقبولِ والرفضِ، والتجردِ والشخوصِ، والخُلُوّ والامتلاءِ.

رابعًا: قد تؤول دلالتا الضدِّ ذواتا الحملِ النفسيّ إلى ما ظاهره التنافي لولا أن تَدارَكَهُ عمليةُ استحثاثٍ خُطاطِيّ وجدانيّ وجاهيّ مهجَّنٍ مزجًا تصوريًّا على سبيل الإسقاطِ الانتقائيّ المُكْفِيّ بأفضيةٍ ذهنيةٍ، جَوارٍ أدخالُها في فضاءٍ لَدِنٍ جامعٍ؛ من مثلِ استنهاضِ صريفِ فعل الظنّ مع دالةِ اليقين (أنَّ) المؤكِّدةِ في أنموذجٍ من آي التنزيلِ.

خامسًا: بالعلاقات المتقابلة يمكن تفكيكُ السياقِ رؤيةً مقعَّرةً متشظيةً إلى أنساقٍ تصوريةٍ / إدراكيةٍ مكوّنةٍ، واختبارُ وجاهٍ واصلٍ مدعومٍ بعملياتِ بلورةٍ محدَّبةٍ ذاتِ مركزٍ بؤريّ دلاليّ ناتئٍ.

سادسًا: لقد كشفت اللغة عن جملة من التصورات الإحالية الأولية كالموضوع والفراغ والحركة والحدث والحالة والزمن والقصد والعمل ونحوها، بطريق الفكر التأليفي القائم على علاقاتٍ دلالية متقابلة بين اليقين والظن محمولين نفسيين وتداعياتهما، بوجاه واصل بين المفهوم والتصور والفضاء خلال نمذجةٍ معرفيةٍ لسياقِ قولةِ عجل بني إسرائيل في القرآن.

(1) يحمل مصطلح الوجاه Interface تفاعلًا علائقيًّا واصلًا بين مكونات النسق اللغوي المتوازية وبينها وبين باقي الأنساق الإدراكية والتصورية التي توازيها، مأخوذًا من قولهم: "داري وجاه دارك؛ أي حِذاءَها من تِلقاء وجهها" وذلك يتناسب مع الطرح العلائقي بين الضدين. راجع المصطلح (غاليم، 2021: 155).

(2) هي عمليات معرفية مزجية متراتبة؛ فالتركيب إحداث لعلاقات لم تكن موجودة في الفضاءين الدخلين منفصلين بطريق إسقاط مضموناتهما في فضاء مزيج Blend فتبدو المقارنة بين فضاء الدخلين ممازةً، و الإكمال عملية آلية غير واعية في عرف أصحاب نظرية المزج؛ إذ يستدعي النموذج المزيج الناشئ بالتركيب بعدًا معرفيًّا ثقافيًّا ما محفوظًا في الذاكرة طويلة المدى حسب فوكونياي وتورنر، والبلورة حركة تطوير للمزيج الحاصل حتى يكاد أن

يكون تواضعيًّا، وبالتوسيع يخرج عن معهوده بضرب من التأويل المثمِر للدلالة. انظر في عمومه: الزَّنّاد، أ. (2009). نظريات لسانية عرفنية، (د.ط). بيروت: الدار العربية للعلوم.

المصادروالمراجع

أرمسترونج، ب. (2022). *كيف يؤثر الأدب في الدماغ: علم أعصاب القراءة والفن*. ترجمة: عبدالله الوصالي، (ط2). الدمام: عبور.

أندريو، ب. (2023). *الفلسفة العصبية*. تحقيق: عبد المجيد جحفة، (ط1). ليبيا: دار الكتاب الجديد المتحدة.

الأهواني، أ. (1953). *فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط* (د.ط). القاهرة: مكتبة البابي الحلبي وشركاه.

باقر الصدر، م. (1998). *فلسفتنا* (ط2). بيروت: دار التعارف للمطبوعات.

بدوي، ع. (1979). *ربيع الفكر اليوناني* (ط3). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

بلانشيه، ر. (1986). *نظرية المعرفة العلمية*. الكويت: جامعة الكويت.

تشرني، ي. (1996). *الديانة المصرية القديمة*، ترجمة: أحمد قدري، (ط1). القاهرة: دار الشروق.

الجاحظ، ع. (1969). *الحيوان*، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط2). القاهرة: مصطفى البابي الحلبي.

الجرجاني، ع. (1983). *كتاب التعريفات*، (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

جولمان، د. (2009). *الذكاء العاطفي*، (ط2). الرياض: مكتبة جرير.

الحمداني، ع. (2020). آلية القيادة الذاتية للدماغ تتحكم في توجيه الوعي. *مجلة جامعة ذي قار للعلوم الإنسانية*. 10(3).

أبو حيان، م. (2001). *تفسير البحر المحيط*، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، (ط1). ج6، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن خالويه، ع. (1934). *القراءات الشاذة*، تحقيق: برجشتراسر وآثرجفري، (د.ط). اربد: دار الكندي.

الرازي، م. (1985). *التفسير الكبير: مفاتح الغيب*، (ط3). ج1، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

رضا، م. (1972). *تفسير المنار*، (ط1). ج1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

رمضان، ص. (2016). *التفكير البيني: أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها*. الرياض: مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الزمخشري، م. (1947). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، (د.ط). القاهرة: دار الكتاب العربي.

السيوطي، ج. (1910). *همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العربية*، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني، (ط1). القاهرة: مطبعة السعادة.

شريف، ع. (2011). *رحلة عقل*، (ط4). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

شريف، ع. (2012). *ثم صار المخ عقلًا*، (ط1). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

الطباطبائي، م. (1976). *الميزان في تفسير القرآن*، (ط3). ج3، طهران: دار الكتب الإسلامية.

طعمة، ع. (2015). التطور اللغوي من منظور اللسانيات العصبية: قراءة بينية معاصرة لبعض القضايا الأولية. *رسالة المشرق*، 30(4). القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة.

طعمة، ع. (2017). *البناء العصبي للغة: دراسة بيولوجية تطورية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية*، (ط1)، القاهرة: دار كنوز.

عبد الباقي، م. (1977). *اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان*، (د.ط)، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

غاليم، م. (2021). *الأنموذج المعرفي إطارًا لاتصال العلوم: بحث في وحدة المنهج وترابط الموضوعات*، (ط1). تونس: الدار التونسية للكتاب.

غاليم، م. (2021). *اللغة بين ملكات الذهن: بحث في الهندسة المعرفية*، (ط1). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

الغزالي، أ. (2011). *إحياء علوم الدين*، (ط1). ج7، جدة: دار المنهاج.

غنيم، أ. (2019). *المزج التصوري*، (ط1). تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع.

ابن فارس، أ. (1979). *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام هارون، (د.ط). ج4، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الفارسي، أ. (2001). *الحجة للقراء السبعة*، تحقيق: كامل مصطفى الهنداوي، (ط1). ج1، 2، بيروت: دار الكتب العلمية.

فندريس، ج. (1950). *اللغة*، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القفاص، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

القشيري، ع. (2007). *الرسالة القشيرية*، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (د.ط). القاهرة: دار جوامع الكلم.

القُونَوي، إ. (2001). *حاشية القُونَوي عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي على تفسير الإمام البيضاوي*، (ط1). ج3، بيروت: دار الكتب العلمية.

لانقاكر، ر. (2018). *مدخل في النحو العرفني*، ترجمة: الأزهر الزناد، (ط1). تونس: دار سيناترا.

مارش، و. (1973). *السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التثنية*. بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى.

المتوكل، أ. (2010). *اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري*، (ط2). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

المسيري، ع. (2009). *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية*، (ط5). ج1، القاهرة: دار الشروق.
موسى، س. (2011). *مصر أصل الحضارة*، (د.ط). المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.
ميرفي بول، آ. (2022). *العقل الممتد: قوة التفكير خارج الدماغ*، ترجمة: محمد وهبان، (ط1). الجبيل: صفحة 7.
النحاس، أ. (1980). *إعراب القرآن*، تحقيق: زهير غازي زاهد، (د.ط). ج2، بغداد: مطبعة العاني.
النووي، ي. (1986). *رياض الصالحين*، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (ط3). بيروت: المكتب الإسلامي

References

Abdul Baqi, M. (1977). *Pearls and corals in what is agreed upon by the two shaykhs*. Kuwait: Ministry of Awqaf and Islamic Affairs.

Abu Hayyan, M. (2001). *Al-Bahr al-Muhit Tafseer* (A. A. A. Abd Al-Majood et al., Eds.; 1st ed., Vol. 6). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Ahwani, A. (1953). *The dawn of Greek philosophy before Socrates*. Cairo: Al-Babi Al-Halabi & Co.

Al-Farsi, A. (2001). *The argument for the seven readings* (K. M. Al-Hindawi, Ed.; 1st ed., Vols. 1–2). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Ghazali, A. (2011). *Revival of the religious sciences* (1st ed., Vol. 7). Jeddah: Dar Al-Minhaj.

Al-Hamdani, A. (2020). The mechanism of self-leadership in the brain controls the direction of consciousness. *Journal of Dhi Qar University for Humanities, 10*(3).

Al-Jahiz, A. (1969). *The animal* (A. S. Haroun, Ed.; 2nd ed.). Cairo: Mustafa Al-Babi Al-Halabi.

Al-Jurjani, A. (1983). *Book of definitions* (1st ed.). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Masiri, A. (2009). *Encyclopedia of Jews, Judaism, and Zionism* (5th ed., Vol. 1). Cairo: Dar Al-Shorouk.

Al-Mutawakkil, A. (2010). *Functional linguistics: A theoretical introduction* (2nd ed.). Beirut: Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Muttahida.

Al-Nahhas, A. (1980). *Arabic syntax of the Qur'an* (Z. G. Zahid, Ed.; Vol. 2). Baghdad: Al-Ani Printing Press.

Al-Nawawi, Y. (1986). *Riyad al-Salihin* (M. N. Al-Albani, Ed.; 3rd ed.). Beirut: Islamic Office.

Al-Qunawi, I. (2001). *The footnote of Al-Qunawi on the commentary of Al-Baydawi* (1st ed., Vol. 3). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Al-Qushayri, A. (2007). *The Al-Qushayri epistle* (T. A. R. Saad, Ed.). Cairo: Dar Jawami' Al-Kalam.

Al-Razi, M. (1985). *Al-Tafseer al-Kabeer: Mafateeh al-Ghayb* (3rd ed., Vol. 1). Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Suyuti, J. (1910). *Ham' al-Hawame' Sharh Jam' al-Jawame' fi al-Arabiyya* (M. B. Al-Nassani, Ed.; 1st ed.). Cairo: Matba'ah Al-Saadah.

Al-Tabatabai, M. (1976). *Al-Mizan fi Tafseer al-Quran* (3rd ed., Vol. 3). Tehran: Dar Al-Kutub Al-Islamiyyah.

Al-Zamakhshari, M. (1947). *Al-Kashaf 'an Haqayiq Ghawamid al-Tanzil wa Ayoon al-Aqawil fi Wujuh al-Taweel* (M. H. Ahmed, Ed.). Cairo: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Andrew, B. (2023). *Neuroscience philosophy* (A. M. Jahfa, Trans.; 1st ed.). Libya: Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Muttahida.

Armstrong, B. (2022). *How literature affects the brain: Neuroscience of reading and art* (A. Al-Wasali, Trans.; 2nd ed.). Dammam: Oboor.

Badawi, A. (1979). *The spring of Greek thought* (3rd ed.). Cairo: Al-Nahda Al-Misriyya Press.

Baqir Al-Sadr, M. (1998). *Our philosophy* (2nd ed.). Beirut: Dar Al-Taaruf Li Al-Matbouat.

Blanchet, R. (1986). *Scientific epistemology*. Kuwait: Kuwait University.

Cherni, Y. (1996). *Ancient Egyptian religion* (A. Qadri, Trans.; 1st ed.). Cairo: Dar Al-Shorouk.

Fendris, J. (1950). *Language* (A. H. Al-Dawakhli & M. Al-Qafas, Trans.). Cairo: Anglo-Egyptian Library.

Galim, M. (2021). *Language between the mental faculties: A study in cognitive engineering* (1st ed.). Beirut: Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Muttahida.

Galim, M. (2021). *The cognitive model as a framework for the communication of sciences: A study of the unity of method and interconnection of topics* (1st ed.). Tunisia: Dar Tunisian Book.

Ghanem, A. (2019). *Conceptual blending* (1st ed.). Tunisia: Maskilyani for Publishing and Distribution.

Goleman, D. (2009). *Emotional intelligence* (2nd ed.). Riyadh: Jarir Bookstore.

Ibn Faris, A. (1979). *Dictionary of the measures of the language* (A. S. Haroun, Ed.; Vol. 4). Beirut: Dar Al-Fikr for Printing, Publishing, and Distribution.

Ibn Khalawayh, A. (1934). *The uncommon readings* (Berjestraeser & Atterjefri, Eds.). Irbid: Dar Al-Kindi.

Lankaker, R. (2018). *Introduction to cognitive grammar* (A. A. Al-Zanad, Trans.; 1st ed.). Tunisia: Dar Sinatara.

Marsh, W. (1973). *The right custom in interpreting the Old Testament books: Commentary on the Book of Deuteronomy*. Beirut: The Near East Churches Association.

Mousa, S. (2011). *Egypt, the origin of civilization*. United Kingdom: Hindawi Foundation.

Murphy Paul, A. (2022). *The extended mind: The power of thinking outside the brain* (M. Wahban, Trans.; 1st ed.). Al-Jubail: Page 7.

Noe, A. (2009). *Out of our heads: Why you are not your brain and other lessons from the biology of consciousness*. New York: Hill and Wang.

Ramadan, S. (2016). *Interdisciplinary thinking: Its theoretical foundations and impact on studying Arabic language and literature*. Riyadh: Center for Arabic Language and Literature Studies, Imam Muhammad bin Saud Islamic University.

Reda, M. (1972). *Tafseer al-Manar* (1st ed., Vol. 1). Cairo: Egyptian General Book Organization.

Sharif, A. (2011). *The journey of the mind* (4th ed.). Cairo: Shorouk International Library.

Sharif, A. (2012). *Then the brain became the mind* (1st ed.). Cairo: Shorouk International Library.

Ta'oma, A. (2015). Linguistic evolution from the perspective of neuroscientific linguistics: A contemporary interdisciplinary reading of some primary issues. *Mashriq Journal, 30*(4). Cairo: Center for Oriental Studies, Cairo University.

Ta'oma, A. (2017). *The neural structure of language: An evolutionary biological study within the framework of cognitive neuroscientific linguistics* (1st ed.). Cairo: Dar Kunooz.